دراسة الطفل بالتحليل النفسى*

تلخيص وتعليق

عبده ميخائيل رزق

ماجستير فى الآداب

يسرنا أن نقدم إلى القراء هذا المجلد السنوى الذى يصدره جماعة من كبار المشتغلين بالتحليل النفسى للأطفال حاوياً أحدث بحوثهم وآرائهم . وقد سبق للمجلة أن قدمت إلى قرائها المجلد الأول من هذه السلسلة فى عدد يونيه ١٩٤٦ . ويضطلع بنشرها لجنة تتألف من اثنى عشر محللا نفسانياً من الولايات المتحدة وبريطانيا من بينهم آنّا فرويد ، وإدوارد جلوفر ، وويلى هوفر ، ورينيه سبتز ، وغيرهم . ولهذه السلسلة أهمية كبرى ؛ منشؤها تحول أكثر جهود التحليل النفسى فى السنوات الأخيرة نحو الطفل ، بعد أن كانت متجهة إلى دراسة الأمراض النفسية والعقلية وعلاجها فى الكبار . وقد شهد فرويد — وهو منشىء التحليل النفسى — هذا التحول ، ولعله مات راضياً به . فإن دراسة الطفولة كانت محور اهتمام فرويد نفسه وهو يعالج الكبار . فإذا ما اتجه إليها التحليل النفسى اتجاهاً مباشراً ، فإنه يجنى فوائد علمية وعملية ، ووقائية وعلاجية لا حد لها . وأصحاب التحليل النفسى يدينون بالقول المأثور إن الطفل أب الرجل . وهم يثقون أن فهم الرجل لا يستقيم من غير فهم الطفل ، وأن الطفولة السليمة السعيدة خير مقدمة لحياة صحيحة فى الكبر ، وأن خير علاج للصعوبات ما أعقب اكتشافها مباشرة فى حياة الطفل الأولى .

ولجماعة التحليل النفسى تقاليد علمية غرسها فرويد مع تلاميذه الكبار ؛ وهى تقوم على الإخلاص للمبدأ وعلى تعاون الجهود تعاوناً وثيقاً فى سبيل تطبيق منهج التحليل النفسى فى مختلف نواحى العلوم الإنسانية ، وأخصها علوم النفس والاجتماع . ومن ثمار تلك التقاليد هذا الكتاب السنوى .

---

* الطفل بالتحليل النفسى كتاب سنوى المجلد الثانى ١٩٤٦ نشر ١٩٤٧

Psychoanalytic Study of the Child. An Annual. Vol. II, 1946. Edited by Anna Freud and Others. International Universities Press, New York, 1947. pp. 424. Price Dol. 7.50

يقع هذا المجلد فى خمسة أقسام تشتمل فى مجموعها على واحد وعشرين مقالا ، نذكرها بالترتيب .

القسم الأول فى معضلات النمو عند الأطفال

وفيه ستة مقالات . المقال الأول لثلاثة من المحررين « تعليقات على نمو التركيب النفسى » . فيه شرح لوظائف الشهوة Id والذات Ego والذات العليا Super-Ego*، وشرح العوامل الداخلية والخارجية التى تساعد على نمو الذات ، وأيضاً للعوامل التى تساعد على نشأة الذات العليا وتطورها .

والمقال الثانى لأديث جاكوبسون فى « ضحك الطفل : ملاحظات نظرية وإكلينيكية على وظيفة الكوميديا » . تشير فيه المؤلفة إلى قصور منهج دراسة الأطفال ، وتقارن فى ذلك بين كتاب أنا فرويد فى « الذات وأساليب الدفاع » The Ego and the Mechanisms of Defence وكتاب فرويد عن « ثلاث مساهمات فى نظرية الجنس» Three Contributions to the Theory of Sex ، وتقول إنه «مع الاحترام الواجب لأنا فرويد وغيرها من محللى الأطفال البارزين » إلا أننا لندهش من عمق نظرات فرويد فى الطفولة ، وهى نظرات استمدها من دراسة الكبار ؛ وكل ذلك بفضل الطريقة الطولية والمنهج التطورى فى البحث ؛ فى حين أن دراسة الطفولة وحدها إنما تكشف فقط عن العمليات النفسية فى مولدها ومنشئها الأول ، كما يدل على ذلك كتاب أنا فرويد المذكور . وتعرض الكاتبة لتاريخ بحث الضحك بالرجوع إلى كتاب لبلاتز وآخرين عن الضحك عند طفل مدرسة الحضانة (W.E. Blatz, Toronts, 1936) . فكل الأبحاث ترجع الضحك إلى مؤثرات فيها توقيع وعجب : كالتربيت والغناء — والأرجحة — والحركات الجسمية والسخية المقرونة بالضحك فى الآخرين . وتربط المؤلفة بين هذه المؤثرات وحالة التوتر الناشئة من قلق الطفل لأسباب داخلية أو خارجية ، مما يجعله ينطلق فى الضحك ويتشبث به بمجرد حصول المؤثر . بل إنه ليسرع إلى الضحك لمجرد توقع المؤثر — كما هو الحال عند الكبار ، يغرقون فى الضحك عند ظهور الممثل الهزلى ، ولما يقم بما يستدعى الضحك — . فالضحك مهرب لذيذ يرضى الذات والذات العليا فى حالات الصراع والتوتر . وهو يشعر الذات بسلامتها رغم ما يحيط بها من صعاب . وأما العوامل الباطنية للضحك فإنها لم تدرس بعد . غير أن المؤلفة تحاول بحثها مستعينة بالوقائع .

* راجع فى باب التعريفات كله «ذات» مجلدا عدد ٢ ص ٢٤٦ — ٢٤٧

وتنتهى إلى أهمية ضبط الدوافع الدنيا ، وتنظيم عمليات الإخراج فى السيطرة على النفس، وفى الضحك على نقائص الأقران تبعاً لذلك . فالضحك هنا فيه شعور بالقوة و بالثقة بالنفس وبالسيطرة عليها .

والمقال الثالث لدوروثى برلنجهام عن « التوائم » وأثر العوامل البيئية فى نموهم . ومن هذه العوامل نظرة الكبار ونظرة الصغار إلى التوائم ، ونظرة أهل البيت وخصوصاً الأم إليهم ، عند الحمل ، والولاده ، وبعد ذلك . ويدخل فى ذلك أثر المقارنات بينهم .

والمقال الرابع لجان دى جروت Jeanne L. De Groot وموضوعه « الدور السابق على الأوديبى فى نمو الصبى » . فيه شرح لأثر موقف كل من الأبوين ، فى السنوات الأولى ، فى تكوين معضلات الطفل المقبلة .

والمقال الخامس لمرجريت فريز M.E. Fries فى « نموذات الطفل وتدريب الكبار فى بيئته » . وفيه بيان لأهم العوامل التى يتوقف عليها نموذات الطفل وهى : (١) طراز النشاط البيولوجى فى الطفل . (٢) قوة الطفل البدنية . (٣) قدرته العقلية . (٤) عمره . (٥) طراز تجارب الحياة التى يتعرض لها . (٦) النتيجة المرجوة من هذه التجارب . (٧) موقف الكبار من الطفل . وتستعير الكاتبة فكرة الجرعة من الطب ، وتوسع مدلولها ، متخذة من فكرة « تقديم جرعات من تجارب الحياة » أساساً نظرياً لنموالذات . وتهتم المؤلفة اهتماماً بالغاً بموقف الكبار من الطفل — منذ الحمل — شارحة ألواناً من أحكامهم الخاطئة على الصغار ، ومنبهة إلى أثر التراث الثقافى فى مركز الطفل الاجتماعى فى مختلف الأعمار ، وعلاقة ذلك كله بنمو الذات .

والمقال السادس لرينيه سبتز R.A. Spitz عن « رعاية الأطفال » وهو تتمة لتقرير فى المجلد الأول عن تطور مجموعة من الأطفال فى دار للرعاية وذلك من نواحى النمو الجسمى والحركى والعقلى والاجتماعى .

القسم الثانى فى المسائل الإكلينيكية

ويقع فى أحد عشر مقالا . الأول لأنا فرويد وموضوعه « دراسة لاضطرابات التغذى عند الأطفال بطريقة التحليل النفسى » . وفيه تبدأ المؤلفة بعرض سريع لتاريخ دراسة التحليل النفسى للمسألة . وتخلص من ذلك إلى تصنيف هذه

الاضطرابات فى ثلاثة أنواع : (١) اضطرابات عضوية ناشئة من حالة الجسم أو من المرض . (٢) اضطرابات غير عضوية ناشئة فى العملية الغريزية نفسها من جراء فقدان لذة الأكل . (٣) اضطرابات عصابية* ناشئة من اصطباغ الوظيفة بالصبغة الجنسية أو العدوانية ، مما يثير قلقاً وكفا ويخلق أعراضاً عصابية . وتهمل المؤلفة النوع الأول إلا من ناحية احتمال تأديته إلى نشوء النوع الثانى ، كما فى حالات دفع الطفل إلى تخطى حدود الشهية . وفى النوع الثانى تذكر المؤلفة نظام الطعام على أنه وسيلة للتدخل فى حياة الطفل الطبيعية ، وكيف أن هذا النظام بنى على دراسات فسيولوجية للأطفال ، ولم تراع فيه مطالبهم النفسية . فالأمهات والمربيات يتشددن فيه أحياناً إلى حد أنهن يقدمن للطفل أصنافاً لا يحبها ، أو أصنافاً يحبها ولكنه لا يشتهيها فى وقت تقديمها إليه . كما أن تأجيل طعام الطفل فى أوقات جوعه ، بحجة أن موعد الأكل لم يحن ، يسبب للطفل قلقاً كبيراً . وهذا طبيعى ؛ لأن الطفل الصغير لم يتعود بعد أن يضبط دوافعه . ولا عجب عندئذ إن ذهبت شهية الطفل إلى غير رجعة . بل إن تكرار هذه التجارب المؤلمة قد يفسد ميل الطفل إلى عملية التغذى كلها من الأساس ؛ فيأكل فى بطء بدلا من أن يأكل بنهم ، وينصرف فى سهولة عن الطعام ، ويطلب التسلية أثناء الأكل ، ويعترض على كثير من الأصناف ، ويفقد الثقة فى الألوان الجديدة التى يقصد بها إغراؤه ، ويتطلب كثيراً من الحث لكى يستكمل وجبته . وبهذا يصبح الأطفال « أكلة أرديا » لأنهم فقدوا لذة الوظيفة . وأما النوع الثالث من اضطرابات التغذى ، وهو النوع العصابى ، فينشأ من عرقلة النمو الجنسى بسبب صعوبات التغذى التى تصادفه منذ الشهور الأولى . وتبين المؤلفة كيف يتطور الحب فى الطفل مرتبطا بغذائه . فهو أولا يحب لذة الطعام . ثم يحب الطعام فى نفسه ، مع ما يرتبط به من آنية الخ . وبعد ذلك يحب الأم : يحبها أولا لأنها مصدر لذة الطعام . وهذا هو الحب النفعى . ويحبها أخيراً فى نفسها وبغض النظر عن الجوع والشبع . وهذا هو الحب الإيثارى . ولا تتطور نفس الطفل من مرحلة إلى أخرى إلا بعد أن يتمكن من المرحلة السابقة ، ويحصل منها على إشباع يمكنه من أن يتخلى عنها . وفى حالات عرقلة هذا الحب أو حرمانه من الإشباع تظهر الميول العدوانية وتعمل عملها . فارتباط الغذاء بالألم

* راجع فى تعريف العصاب والذهان والمناخوليا أو الملانخوليا باب التعريفات فى مجلد عدد ٢٢

أو بسوء المعاملة أو بقلة العطف أو بعدم الفهم يعرقل النمو الجنسى للطفل، ويدفعه إلى العدوان الذى يظهر واضحاً أولا فى شكل العض عند بداية التسنين . ولكن الميول العدوانية سرعان ما يخفيها الكبت ، فيتعقد تأثيرها فى السلوك ؛ وهكذا تضطرب نفوس بعض الأطفال . — وأخيراً تشرح المؤلفة أهمية الانتقال من دور اللذة الفمية إلى دور اللذة الاستية ثم إلى دور اللذة القضيبية* .

والمقال الثانى لمرجريت جيرارد M.W. Girards عن النتشة ونمو الذات . تعرض فيه الكاتبة تحليلا طويلا لعدد من الحالات ، وتنتهى إلى أن النتشة كانت فى كل حالة أثراً لتجربة قاسية مرت بالطفل وأهاجت خوفه من الأذى . وأصل النتشة استجابة حركية كانت ملائمة فى لحظة التجربة القاسية . ولكنها أصبحت غير ملائمة ، إذ يستخدمها الطفل فى كل حالات خوفه بلا تمييز . وتدل النتشة فى أصلها وتطورها على كف الميول العدوانية فى الطفل بتأثير قسوة الآباء ، وشدة توقع الطفل للعقاب وخوفه منه .

والمقال الثالث لفيليس بلانشارد عن مسألة العجز عن القراءة فى ضوء التحليل النفسى . والمقصود هنا هو العجز عن القراءة فى حالات الذكاء العادى على الأقل ، وهى أكثر ظهوراً فى الصبية بدرجة لانعرف أصلها . وتستنتج الكاتبة من عرض عدد من الحالات أن المسألة ناشئة من تجارب قاسية مرت بالطفل . ولكن لماذا يظهر أثر هذه التجارب فى القراءة أكثر مما يظهر فى غيرها ؟ السبب المرجح هو أن القراءة تتطلب حصراً قوياً ومتواصلا للانتباه ، وتنظيماً دقيقاً فى حركات الفم والحلق ، وتآزراً فى حاستى البصر والسمع . فالفشل فى القراءة أقرب حدوثاً للطفل المضطرب من الفشل فى الكتابة أو الحساب ، حيث يجوز الإبطاء ، ويسهل تصحيح الأخطاء أو تلافيها . والقراءة أساس نجاح الطفل فى السنوات الأولى من التعليم .

والمقال الرابع لجنى ويلدر هول J.W. Hall موضوعه « تحليل لحالة فزع فى الليل » . وهى لفتى كان فى السابعة حين قدم للعلاج من نوبات فزع شديدة ، فى ليال متفاوتة ، كان يقوم فى أثنائها يصرخ وهو جالس ، فتسعفه الأم بمكمدات باردة على القلب ، حتى يهدأ وينام وهو غير واع . وقد نجحت المحللة فى تخليصه من دائه فى مدى عامين ، وذلك بعد أن كشفت فيه عن خوف وقلق شديد من جراء قسوة الأب على الطفل وعلى أمه ، حتى أنه كان يتخيل أحياناً وجوب « دعوة

* راجع مقال الدكتور يوسف مراد عن « نمو الطفل العقلى » مجلد ٢ عدد ١

البوليس » . كما كشفت فيه عن شعور عميق بالإثم ممزوج بخوف من الأب ، مرجعه تجارب جنسية مع الأصحاب كان يقوم فيها الطفل بالتجسس على أصحابه من ثقب الباب .

والمقال الخامس لبرتا بورنشتاين وموضوعه حالة ازدواج هستيرى فى الشخصية لفتاة فى الثامنة . تعرضت هذه الفتاة للحرمان من العطف وهى فى الرابعة بسبب ولادة أخت صغرى . وتعرضت فى الخامسة لتجارب جنسية مع خال لها كان يغريها بأن يعدها بنزهة فى عربة ، ونقل إليها عدوى السيلان . واستمر علاجها منه حتى تمام السادسة ، بتعاون الأبوين على الغسيل المهبلى بالرشاش ، مع شىء من العنف للتغلب على مقاومة الفتاة . وعندئذ بدت عليها نوبات هستيرية كانت تخرج فيها من البيت فى زى خليع ، وتغيب ما بين ساعة ويومين ، تسأل من تصادفه من الرجال أن ينزهها فى عربة . وكانت أثناء النوبة تعرف أشخاص أسرتها عدا الأب . وبعد انتهائها تلتصق بالأم وتحتمى فيها وتنسى كل شىء فعلته . وقد كشف التحليل عن شعورها الدفين بالإثم من جراء تجاربها الجنسية . وبالخوف من أن يمتنع الرجال عن حبها بعد ما اقترفت من ذنب . وقد نجح علاجها بعد سنة .

والمقال السادس لأنى كاتان A. Katan عن تجاربها مع « البوّالين » . وهم فى رأى المؤلفة خمسة أنواع : (١) أطفال نجحوا فى تنظيم التبول على يد شخص عطوف ، ثم انفصل عنهم هذا الشخص فعاد إليهم البوال . وهؤلاء بحاجة إلى شخص عطوف آخر . (٢) أطفال تنظفوا ثم اعتراهم البوال على أثر مولد طفل آخر ، بفعل الغيرة . ويهدف البوال هنا إلى جذب اهتمام الأم . فعليها أن تعطف على الطفل المصاب وتبصره بموقفه . (٣) أطفال يبولون على أثر اكتشافهم للفروق الجنسية بين الأطفال . وينجح العلاج بالتحليل وبتهدئة روع الطفل بمعارف جنسية بسيطة واضحة ، مع الاستعانة بالأم وكسب ودها فى العلاج . (٤) حالات اكتشاف الفروق الجنسية على الكبار . وتعالج بتحليل طويل ومضن . (٥) حالات البوال الناشىء من أثر عملية جراحية ، تثير فكرة الإخصاء ؛ وقد يعتقد الطفل أنه أخصى بالفعل ، و « أن صمام الصنبور قد زال » . وتعرض الكاتبة بعد ذلك حالات عدة للإيضاح .

والمقال السابع لأنا ماينخن A. Mænnchen عن « حالة انحلال فى الذات العليا » . وهى لفتى فى الثانية عشرة سيطر عليه الخوف من الفناء وكان يتوهم أن أباه

أو أحداً آخر يدبر أمر اغتياله بقنبلة زمنية ، رغم اقتناعة أيضاً بسخف الفكرة وعدم احتمال صدقها . وقد لوحظ تأخره فى دروسه واضطراب سلوكه فى المدرسة رغم علو ذكائه . كما لوحظ اختلاف جنسية أبويه . فالأب ألمانى ، والأم أمريكية ، وكلاهما وطنى متحمس . وقد ساءت حالة الفتى على أثر اعتقال الأب وإبعاده فى أول الحرب . ولعل هذا كان نذيراً بانهيار المثل العليا فى نظر الطفل . ولعل هذا الانهيار قد تحقق عنده بهزيمة النازية فى الحرب ، مما قد يفسر عدوان الفتى واستحالة ضبط سلوكه .

والمقال الثامن لكريستينا أولدين C. Olden فى « الذكاء السطحى » . وهو نوع من الذكاء المكفوف لأسباب نفسية ؛ يظهر صاحبه ذكياً جداً لأول وهلة ، ولكنه يبدو عند الاختبار ضعيفاً فى التفكير ، وعاجزاً عن التركيز فى اتجاه واحد ، وعن التعمق فى أى موضوع . ويعتمد المقال على دراسة لثلاث حالات ، رجل وولدين . وتفسر الكاتبة هذه الحالات بعقدة الإخصاء فى الذكور ، وهى تنطوى على تراجع إلى الطفولة واشتهاء لاشعورى للأم مع خوف من الأب .

والمقال التاسع لإليزابت جيليرد E. Geleerd « مساهمة فى تفسير ذهان الطفولة » تعرض كاتبته دراستها لعشر حالات بدت على أصحابها قبل المراهقة أعراض الفصام ، وأصيب ثلاثة منهم بالفصام فعلا فى دور المراهقة . وتفسر الكاتبة هذه الحالات بفقدان عطف الأم فى الطفولة الأولى ، وهو ينطوى على ميل متأجج للالتصاق بها ، مع عجز عن الشعور بالطمأنينة بسبب غيابها . ولم تتهيأ للطفل فرصة تكوين صورة للأم يتعزى بها ساعة شعوره بالحرمان منها . كل ذلك يؤدى به إلى النكوص ، ويجعله عرضة لنوبات الغضب وأفكار الاضطهاد .

والمقال العاشر لويلى هوفر W. Hoffer فى « يوميات المراهقين المفصومين » . يمهد له الكاتب بشرح ضرورة القيام بدراسة مبكرة للحالات الشاذة ، وخصوصاً تلك التى تتميز بأعراض ذهانية . ثم يذكر أن الجلسات التحليلية غير ملائمة لهذا الغرض ، لأنها قد تضاعف من انطواء المصاب والتفاته إلى معضلته مما يعجل باستفحال المرض . والفرق بين المعصوب والمذهون فى الجلسة التحليلية أن الأول يتقدم بمشاكله ويعرضها على المحلل فيتحسن ؛ وأما الثانى فيحجبها ، ويتحاشى أن يكشف عما فى شخصيته من انحراف . ولما كان بعض القابلين للذهان فى المراهقة يميلون فى عزلتهم إلى شرح همومهم ومتاعبهم فى مذكرات يومية ، فمن الخير أن

يبادر المحللون إلى دراسة هذه المذكرات متخذين من ذلك منهجاً يساعد على تفسير هذه الحالات وعلاجها . ويعرض المؤلف دراسة مستفيضة لحالتين ، دوّن صاحباهما مذكرات يومية مستفيضة فيما بين الخامسة عشرة والثانية عشرة . وهو يستعين فى التشخيص بدراسة هذه المذكرات اليومية ، وأيضاً بوصف العلاقات العائلية وظواهر السلوك . وينتهى من ذلك إلى جواز امتزاج الأعراض العصابية بالأعراض الذهانية فى المذهونين . ثم يأخذ بمذهب فرويد فى رد أصل المرض إلى المرحلة الأولى من النمو الجنسى ، وهى مرحلة اللذة الفمية . كما أنه يلاحظ التجاء المريض إلى التعويض فى اتجاه لا يلائم مواهبه ؛ كميله رغم زهده وتأمله إلى الخلطة الاجتماعية ، أو ميله وهو مهيأ للخلطة الاجتماعية إلى الخيال الفنى والابتكار .

والمقال الحادى عشر لرينيه سبتز R. Spitz بمعاونة كاترين وولف K. Woolf . وموضوعه « الاكتئاب الدورى » فى الطفولة المبكرة ، وهو يدرس منشأ المرض النفسى . ويتمم لما جاء فى المجلد الأول عن رعاية الطفل . والمقال دراسة تجريبية وتحليلية معاً لحالة مرضية ظهرت فى عدد من الأطفال فى دار للحضانة ، وذلك فى النصف الثانى من السنة الأولى من عمرهم . تبدأ الحالة بالبكاء المتواصل وتنتهى بالنكوص والعزلة . فإذا أصر أحد على جذب التفات الطفل المصاب أجهش بالبكاء . وتستمر تلك الحالة نحو شهرين أو ثلاثة ؛ فى خلالها تذهب شهية الطفل ، ويكثر أرقه وتزداد قابليته للإصابة بالبرد ، ويتأخر نموه عامة . وقد يعقب ذلك دور من البكاء ، تتلوه حالة من الجمود والسكون مصحوبة أحياناً بمص الأصابع والعبث بالأعضاء التناسلية . وعند ذلك يصبح الإتصال بالطفل قريباً من الاستحالة . وقد شوهدت هذه المجموعة من الأعراض فى ١٩ حالة من ١٢٣ حالة غير منتقاه ، أى بنسبة ١٥٪ تقريباً . ويعرض الكاتب لتاريخ ثلاث حالات . ويظهر من الجداول المعروضة أن هذه الحالة المرضية تصيب الملوّنين (١٢ حالة) أكثر مما تصيب البيض (٧ حالات) . ولكنها تظهر فى الصبية والبنات بقدر متساو تقريباً (٩ و ١٠ حالات على الترتيب) . ويطلق المؤلف على المرض اسم الاكتئاب المبكر ؛ وهو يرد إليه أصول حالات المناخوليا التى وصفها كل من فرويد وأبراهام . ويعرض المؤلف لمشكلة التشخيص فيستبعد احتمال وجود ذات عليا فى هذا الدور بحيث يرد إليها الإنحراف كما فى حالات الذهان . ثم يتساءل عن مبلغ نمو الذات وتنظيمها وكيف استطاعت أن تستجيب للمؤثرات الخارجية بالعناد والعزلة . وينتقل

إلى العلاج ، فيقسمه ثلاثة أقسام : هى الوقاية والإصلاح والإبدال . أما الوقاية ففى عدم تعريض الطفل للحرمان من الحب ، فى السنة الأولى ، وخصوصاً إلى أى مدة تبلغ ثلاثة شهور أو تزيد . وأما الإصلاح فباعادة مصدر الحب إلى الطفل المحروم ، فيتحسن عادة فى مدى ثلاثة شهور تحسناً جزئياً على الأقل . وأما الإبدال فيكون بإحلال مصدر حب جديد فى موضع المصدر المفقود ، مع منح الطفل حرية فى اختيار المصدر الذى يفضله .

القسم الثالث فى التوجيه النفسانى

وفيه مقال واحدلكيت فريدلاندر Kate Friedlander عن « الاتجاه التحليلى فى علاج نفوس الأطفال فى بريطانيا » . ويذكر المقال حاجة بريطانيا الشديدة إلى الإخصائيين والمال ، إذ ان العيادة النفسية التى يعمل فيها طبيب نفسانى وإخصائى بعض الوقت لا تستطيع أن تعالج أكثر من ستة إلى ثمانية أولاد فى وقت واحد . فإذا لزم لهؤلاء علاج ثلاثة شهور ، فإن العيادة لا تعالج غير نحو ٣٠ حالة فى السنة ، وهو عدد ضئيل بالنسبة إلى عدد السكان فى أى جهة مزودة بعيادة . ويدل على حرج الحالة كشوف الانتظار الطويلة فى كل عيادة . فبريطانيا بحاجة إلى علاج جمعى للأطفال والآباء ، وإلى مجال واسع لتدريب الإخصائيين كتمهيد سريع لتخفيف هذه الأزمة . وتتحدث الكاتبة عن تجربتها الخاصة فى ثلاث عيادات أنشئت حديثاً فى وست سسكس ، وكلها تعمل معاً كوحدة ، ولها اجتماعات دورية مشتركة . وهى فضلا عن علاجها للأطفال تؤدى خدمة عامة بتثقيف الجمهور وتوجيهه . وترى الكاتبة أن الطفل الذى يتمتع بالرعاية والعطف إلى السادسة أو السابعة يكاد يتحاشى كل مرض نفسى ناشىء عن تجارب الحياة .

القسم الرابع فى مسائل التربية والاجتماع

وفيه مقالان : الأول لأريك أريكسون Eerik H. Erikson عن « نمو الذات والتغير التاريخى » يبحث فى العلاقة بين نمو ذات الطفل من ناحية ونماذج الشخصية فى مجتمعه من ناحية أخرى . ولهذا المقال أهمية خاصة ، لأنه يلفت النظر إلى نسبية المعانى والقوانين فى الدراسات النفسية ، وذلك بحكم اختلاف البيئة ودرجة نمو الفرد ونوع العوامل الداخلية والخارجية التى تؤثر فيه . فكما أن أنا فرويد تنصح للمحلل عند الملاحظة بأن يقف فى نقطة « تقع على مسافات متساوية من

الشهوة والذات والذات العليا » فكذلك ينصح له أريكسون بأن ينتبه إلى تفاعل هذه الجوانب الثلاثة ؛ وهو تفاعل من شأنه أن يجعل التغير فى واحد منها مرتبطاً بتغير فى الجانبين الآخرين . وليس هناك مدلول جامد للشهوة أو للذات أو للذات العليا ؛ كأن هذه أقسام منفصلة فى النفس ؛ ولكنها بالأولى ثلاث عمليات كبرى ، لا تفهم الواحدة منها إلا بالنسبة إلى الآخريين . وكما أن العلاج بالتحليل النفسى يهدف إلى تعديل هذه العمليات الثلاث معاً — بحيث تزداد الشهوة نشاطاً ، وتزداد الذات العليا تسامحاً ، وتزداد الذات قدرة على التوفيق — فإن أريكسون يطلب إضافة شىء آخر ؛ يطلب أن يكون تحليل الذات مشتملا على تحليل صلة الذات بسلسلة التغيرات التاريخية التى أحاطت بنموها منذ الطفولة . ويتم العلاج بقبول الفرد للضرورة التاريخية التى جعلت منه شخصاً معيناً .

والمقال الثانى لليلى بلر Lili E. Peller عن « مشجعات النمو وطرق التربية المبكرة » . تبحث فيه الكاتبة مسألتها من وجهة نظر ثلاث مدارس : الأولى مدرسة التدريب وتكوين العادات ؛ ومن زعمائها مرتشيسون وبلاتز Blatz, Murchison ترى أن الطفل لا ينمو ولا يقلع عن أساليبه الفجة إلا بحثه وتدريبه على أساليب من السلوك أنضج فأنضج . والثانية مدرسة النمو Developmentalism ويمثلها أرنولد جسل A. Gesell ، تعارض المدرسة السابقة وتذهب إلى أن الطفل ينمو بطبيعته من غير تدخل أو إرغام من جانب المربى . بل إن فى التدخل والإرغام أخطاراً عديدة . والثالثة مدرسة التحليل النفسى وهى تحمل أسباب التوفيق بين المدرستين السابقتين ، إذ توضح لنا كيف تتعاون المؤثرات الخارجية — وخصوصاً الاجتماعية — مع الدوافع الباطنية على نمو الطفل . وتعرض الكاتبة لتطور النمو بحسب التحليل النفسى ، وكيفية نشأة الصعوبات من جراء القمع والحرمان ؛ ثم تنتهى إلى الأخذ برأى فرويد فى مهمة التربية ، وهى عنده « جعل الفرد قادراً على أن يصبح عضواً ممدنا ونافعاً فى المجتمع ، بأقل قدر ممكن من التضحية بنشاطه » .

القسم الخامس فى تاريخ العلاج النفسى للأطفال

وفيه مقال واحد بقلم ريمون دى سوسور R. Ce Soussure عن « فيليكس ديكوريه » J.B. Felix Descuret (١٧٩٥ — ١٨٧٢) . كان ديكوريه طبيباً

نافذ البصيرة شغلته مسائل الطب السيكوسوماتى. ويعرض الكاتب أربعة نصوص طويلة من كتاب له عن طب الانفعالات ١٨٤١ La Médecine des Passions ليبين كيف أنه أدرك الأسس التى يقوم عليها التحليل النفسى من قبل مولد فرويد. فهو يؤمن فى تحليله للحالات التى يعرضها بخطر الحرمان وأثره فى إيجاد الصراع والكبت، ثم ينصح بإشباع حاجات الطفل الطبيعية.

* * *

ولسنا نقصد بهذا التقديم أن ينصرف أحد — ممن تمكنهم ظروفهم — عن قراءة هذا المجلد العظيم النفع. فإننا نعتقد أنه مؤلف لا غنى عنه لكل المعنيين بأمر الطفولة، والمتتبعين لدراستها وخاصة من الآباء والمعلمين. وهو أيضاً يحمل فوائد لا حصر لها لجميع المشتغلين بالتحليل النفسى من ناحيتيه النظرية والتطبيقية. كما أنه لا شك سيحظى بإقبال هواة القراءة فى التحليل النفسى.

عبده ميخائيل رزق

بقية المنشور فى صفحة ٣٠١

عقدة النقص : تأليف مكبريد وترجمة عبد المنعم المليجى (الناشر المصرى، **أكسفورد المدينة الجامعية** : تأليف الدكتور حسن الساعاتى (الناشر المصرى ص. ب ٣٥٦ — القاهرة، ١٩٤٦، ٧٢ ص.)

دليل الاسكندرية : تأليف عبد العزيز جادو (مكتب الشاطئ للصحافة والنشر والإعلان ٤٣ شارع زنانيرى باشا، كليوباترا، الاسكندرية، ٧٤ ص.)

كرة القدم : القوانين الدولية مبسطة بقلم محمد محمد فضالى المدرس بمعهد التربية للمعلمين، القاهرة، ١٦ ص.

المختار من قصايا رابطة الرد الثقافى : مدرسة الأميرة فائزة الثانوية بالاسكندرية، العدد الثانى ١٩٤٧، ٦٥ ص.

العبقرية : مجلة للآداب والعلوم والفنون، مديرها ورئيس تحريرها عبد الوهاب بن منصور، تلمسان — الجزائر.

الرسالة المخلصية : مجلة دينية أدبية تاريخية علمية، السنة الرابعة عشرة، العدد السابع يوليو ١٩٤٧ — دير المخلص، صيدا — لبنان.